خطبة صلاة الجمعة 3/ 8/ 2018 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(ماذا أقرأ لأفهم ديني؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: 83]

قال ابن كثير: هم الشباب.

أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

هذه هي الخطبة السادسة في سلسلة (هموم الشباب)

عنوان الخطبة: **ماذا أقرأ لأفهم ديني؟**

أيها الإخوة:

تزامنا مع افتتاح المعرض الثلاثين للكتاب في مكتبة الأسد الوطنية، أردت أن أعرض لواحد من هموم الشاب المسلم خاصة والإنسان المؤمن عامة: ماذا يقرأ ليتعلم أمر دينه.

عاش الصحابة الكرام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألونه إذا أُغْلِقَ عليهم أمر فيجيبُهم، ويراجعونه إن أشكل عليهم أمر فيحل لهم المشكل، ويستفتونه إن عرض لهم حادث فيفتيهم، ويستبينونه إذا خفي عليهم أمر فيبُيِّن لهم.

ولكن المسلم اليوم يجد مكتبة إسلامية كبيرة وكتباً دينية كثيرة، فماذا يقرأ ليفهم أمر دينه؟

لعل هذه الخطبة تساعد في الإجابة على هذا السؤال.

غير أني أحب أن أقدم للجواب بفوائد مهمة:

1- الكتاب إنسان يخطئ ويصيب، فإذا قرأت كتاباً خَطّه إنسان فلا تستسلم لما كتب بل زن كلامه، فما رجح فخذه وما كان مرجوحاً فدعه، وكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب القبة الخضراء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واجعل ميزانك القرآن والسنة والعقل فما وافق ذلك فدونك وما خالفه فارم به.

جاء في مقدمة كتاب علم الخلية والتكاثر للدكتورة نجاح بيرقدار والدكتور محمد أبو حرب: (إن عملية الإلقاح والتناسل كانت تعرف فيما سبق بأنها عملية خلق وإبداع وتتدخل في مرحلة منه أو بأخرى القوى الإلهية أما الآن فالإلقاح والتناسل عمل ميكانيكي آلي تمارسه الكائنات الحية لتعطي أفراداً أخرى مشابهة لها).

هذا النص يخالف القرآن والسنة والعلم، فقد قال القرآن: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 1، 2] فأثبت الخلق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خَلقَ اللهُ الخلقَ كَتبَ في كِتابٍ كتبهُ على نفسه، فهو موضوع عندهُ على العرشِ: إنَّ رَحمتي تَغْلِبُ غَضَبي**». فأثبت الخلق.

ثم إن العلم اليوم يطأطأ أمام عظمة خلق الله تعالى للإنسان، وهذا أمر لا ينتطح به عنزان.

فالنص الذي قرأته لكم من الكتاب المذكور مخالف للقرآن والسنة والعقل، فإن قرأته أو قرأت مثله فارم به، وخذ من ذاك الكتاب وشبهه ما صفا ودع ما كدر.

2- الكتاب كالدواء تحتاج إلى طبيب ليصفه لك، أو قل هو كالغذاء يحتاج إلى معدة مناسبة لهضمه، فرب كتاب قرأته فازددت فهماً وتمسكاً بالدين، ورب كتاب قرأته فصدك عن معالم الدين، ولعل المشكلة لم تكن بالكتاب ولكن كانت فيك لأنك تناولت من الغذاء ما لا تستطيع معدتك هضمه، أو أخذت من الدواء مالم يصفه لك الطبيب.

فأنصحك أن تستشير قبل قراءتك الكتاب من تثق بعلمه وعقله من المربين لتفيد من وقتك وكتابك.

جاء في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: 1] في التفسير الوجيز للدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله: (قل يا أيها النبي ألجأ وأستجير برب الصبح الذي يفلق ضوؤه ظلمة الليل). فكلام الدكتور الزحيلي مفهوم بيّن كما تسمعون.

جاء في تفسير أبي السعود للآية نفسها: (الفَلَقُ الصُّبْحُ كالفرقِ لأنَّه يفلق عنه الليل ويفرق، فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منَ المفلوقِ والمفلوقِ عنْهُ مفعولٌ،... وفِي تعليقِ العياذِ باسمِ الرَّبِّ المضافِ إلى الفلقِ المنبىءِ عنِ النورِ عَقيبَ الظلمةِ، والسَّعةِ بعدَ الضيقِ، والفتقِ بعدَ الرتقِ، عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذة العائذِ مِمَّا يعوذُ منْهُ وإنجائِهِ منْهُ، وتقويةٌ لرجائِهِ بتذكيرِ بعضِ نظائِرِهِ، ومزيدُ ترغيبٍ لَهُ في الجدِّ والاعتناءِ بقرعِ بابِ الالتجاءِ إليهِ تعالَى).

أعتقد أن كثيراً من الحاضرين لم يعرف تفسير الآية من خلال تفسير أبي السعود بل ربما ازداد حيرة، لا لأن تفسير أبي السعود غيرُ جيد ولكن لأن القارئ له ينبغي أن يكون مر على عشرات الكتب قبله.

فالكتاب كالدواء تحتاج إلى طبيب ليصفه لك، أو قل هو كالغذاء يحتاج إلى معدة مناسبة لهضمه. فاستشر قبل قراءتك الكتاب من تثق بعلمه وعقله من المربين لتفيد من وقتك وكتابك. إلى أن تصير حاذقاً بالفن خبيراً بالعلم فتصير مرجعاً للطالبين.

3- لا يغني الكتاب عن المعلم، فالكتاب معين والمعلم ركن ركين، وإنما يؤخذ العلم من صدور الرجال.

وقد توافق المربون على أن العلم لا يؤخذ ممن أخذ علمه من بطون الأوراق، بل ممن عرف بصحبة المعلمين الحذاق. فقال ثور بن يزيد: "لا يفتى الناس الصُحفيُّون" أي الذين أخذوا علمهم من الصحف والكتب من دون المعلم.

وقال أبو زرعة: "لا يفتى الناس صُحُفيّ ولا يقرئهم مُصْحَفي"

المصحفي هو الذي حفظ القرآن من الكتاب ولم يقرأه على شيخ مجاز، فلا يقرئ الناس خشية أن يقرئهم الخطأ.

4- الكتاب الرقمي صنو الكتاب الورقي:

وبإمكان الجيل اليوم أن يفيد من مهاراته الالكترونية قراءة نافعة من خلال الإفادة من منصات التعليم عن بعد، أو خدمات الكتاب المسموع، أو المشاركة في صفحات التواصل أو قنوات اليوتيوب الموثوقة علميا، كلٌّ حسب اختصاصه.

على أن القراءة المرجوة هي القراءة المحفوفة بالخلق النبيل والهدف السامي، المسيجة بالفكر الراقي والاعتقاد السليم، المحفزة على العمل الخير النافع.

القراءة مفتاح العلم، والعلم هو الذي جاءنا بالقنبلة الهيدروجينية، والنووية، والذرية، والانشطارية، والعنقودية.

القراءة مفتاح العلم، والعلم هو الذي جاءنا بعمليات شد الوجه ونفخه مع أجزاء أخرى من الجسم بالدهون أو بالكولاجين أو السيليكون أو البوتوكس أو السوفت فورم.

القراءة مفتاح العلم، والعلم هو الذي جاءنا بالكوكائين والأفيون ومشتقاته والمهلوسات والباربيتورات وسائر المواد المخدرة.

إن العلم يعلمك كيف تصنع الآلات والمحركات، لكن شريعة السماء هي التي تعلمك كيف تستعملها فيما يُسعدك ويسعد الآخرين.

أيها الإخوة:

للإجابة على السؤال ماذا أقرا لأفهم ديني؟

أقول مستعينا بالله:

أنت بحاجة إلى نواة مكتبة شرعية منزلية أنصحك باقتنائها، لتقرأ منها مع أهل بيتك في كل يوم، ولعلنا نتهادى هذه المكتبة فيما بيننا، لتكون في متناول كلِّ واحد فينا.

أوَّلاً: كتاب تفسير كلمات القرآن: ترجع إليه لتتبين معاني الكلمات الغريبة، وتجد فيه بغيتك عن معنى كلمة تجهلها في كتاب الله تعالى. أنصحك بكتاب (كلمات القرآن للشيخ حسنين مخلوف)

ثانياً: كتاب تفسير آيات القرآن بشكل مبسط: أنصحك بكتاب "التفسير الوجيز" للدكتور وهبة الزُّحيلي. وهو مصحف على هامشه شرح بسيط للآيات.

ثالثاً: كتاب أحاديث معتمد: مثل كتاب: "رياض الصَّالحين" للإمام النووي، فيه ستمائة وألف حديث صحيح وحسن.

رابعاً: كتاب في سيرة سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم: أنصحك بكتاب "الرحيق المختوم" لصفي الرحمن المباركفوري وقد حاز الكتاب على الجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية عام 1398 هـ.

خامساً: كتاب في تراجم الصَّحابة والتابعين وسيَرهم: مثل كتاب: "صور من حياة الصحابة" لعبد الرَّحمن رأفت باشا، وكتاب "صور من حياة التابعين" للمؤلف نفسه. يمكن أن تجعل هذا الكتاب مادة تقرؤها على أسرتك في البيت، والكتابان ممتعان وشائقان، تُسَرُّ بقراءتهما.

سادساً: كتاب في الأدعية والأذكار: بعض الكتب تحوي أدعية لا صحة لها، بل في بعضها عبارات تخالف الشرع. فلذلك اقتنِ كتاباً صحيحاً في الأذكار والأدعية مثل كتاب "الأذكار" للإمام النَّووي، الذي كان أهل الشَّام يقولون فيه: بع الدَّار واشترِ الأذكار.

سابعاً: كتاب فقه معتمد: مثل كتاب: "الفقه على المذاهب الأربعة" لعبد الله الجزيري، جاء هذا في خمس مجلدات، وكتاب "الفقه الإسلامي وأدلته" للدُّكتور وهبة الزحيلي، جاء في عشر مجلدات، وهو كتاب مفيد جداً.

ويمكنك أن تبدأ بكتاب على مذهب واحد، وأنصحك بكتاب الفقه المنهجي للشيوخ مصطفى الخن ومصطفى البغا وعلي الشربجي.

ثامناً: كتب ثقافية إسلامية فكرية وإيمانية: وهذه الكتب كثيرة، بإمكانك أن تسأل من تثق بدينه وعلمه ليرشدك لبعضها. ولكن ينفع أن أخبرك بأسماء بعض المؤلفين النافعة كتبهم بشكل عام:

الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله، والدكتور الشيخ نور الدين عتر، وشيخ اللغة العربية مصطفى صادق الرافعي، والشيخ أبو الحسن الندوي، والدكتور الشيخ وهبة الزحيلي، وأخوه الدكتور الشيخ محمد الزحيلي، والشيخ محمد الغزالي المصري، والشيخ علي الطنطاوي والدكتور محمد عمارة، والشيخ عبد الله سراج الدين، والأستاذ محمد غسان الجبان، والدكتور الشيخ محمد خير فاطمة، والدكتور شوقي أبو خليل، والدكتور محمد علي البار.

تاسعاً: كتب إسلامية للأطفال: مكتبة الإسلام للأطفال كبيرة، بإمكانك أن تسأل من تثق بدينه وعلمه ليرشدك لبعضها.

عاشراً: كتب في تربية الأبناء: وأنصحك بكتاب "تربية الأبناء" لمحدثكم، وكتاب: "منهج التَّربية النَّبوية للطِّفل" لمحمَّد نور سويد، وكتاب: "الآداب الإسلامية للناشئة" للدُّكتور محمَّد خير فاطمة.

أيُّها الإخوة:

هذه نواة مكتبة إسلامية أراها ضرورية لكل بيت من بيوتنا، إلا فإن العلم بحر لا ساحل له، وإن القراءة محاولة غوص في ذلك البحر.

سُئل أحد العباقرة: لماذا تقرأ كثيراً؟ فأجاب: لأنَّ حياة واحدة لا تكفيني.

وبعد أيها الشباب:

هذا واحد من همومكم ماذا أقرأ لأفهم ديني، وهذا جوابي لكم عليه.

اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله رب العالمين